

معاني الكلمات :

بإذن ربهم : بأمره أو بتيسيره وتوفيقه لهم .

العزیز : الغالب أو الذي لا مثل له .

الحمید : المحمود .

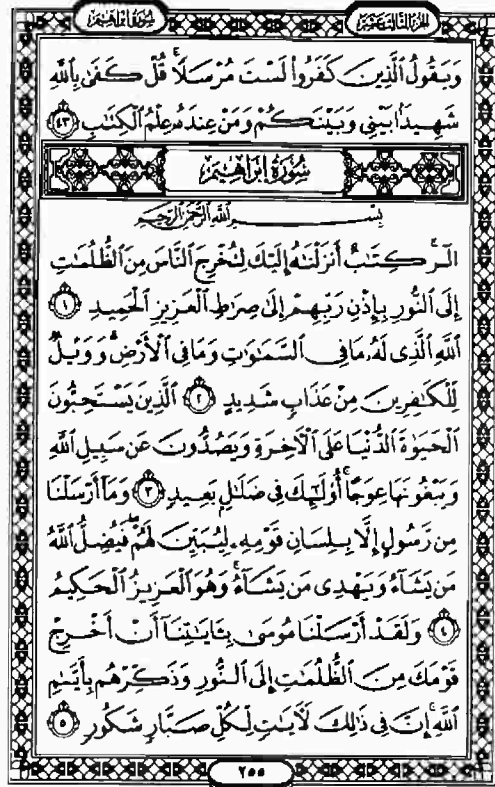
ویل : هلاك أو حسرة أو واد في جهنم .

تستحبون : يختارون ويفضلون .

يغونها عوجا : يطلبونها ذات اعوجاج .

بلسان : بلغة .

بأيام الله : ما أصاب به الأمم السابقة .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نعلم وظيفة الرسول ﷺ ومن قبله من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم .

٢ - أن نؤمن أن الله - تعالى - هو المالك لما في السموات والأرض .

٣ - أن نتعرف على أيام الله تعالى في الأمم السابقة .

المحتوى التربوي :

يختم الله عز وجل سورة الرعد بحكاية إنكار الكفار للرسالة ، وقد بدأها بإثبات الرسالة ، فيلتقى البدء والختام ، ويشهد الله مكتفيا بشهادته ، وهو الذي عنده العلم المطلق بهذا الكتاب وبكل كتاب ، وتنتهى السورة وقد طوفت بالقلب البشرى في أرجاء الكون وأرجاء النفس ، وتركته بعد ذلك إلى شهادة الله والى يحسم بها كل جدل ، وينتهى بعدها كل كلام .

سورة إبراهيم .

هذه السورة مكية ، موضوعها الأساس هو موضوع السور المكية الغالب : العقيدة في أصولها الكبيرة : الوحي والرسالة والتوحيد والبعث والحساب والجزاء .

فهذا الكتاب المؤلف من جنس هذه الأحرف التى بدئت بها هذه السورة ، ﴿ صَكَّبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ ﴾ لم تنشئه أنت ، أنزلناه إليك لغاية : لتخرج هذه البشرية ﴿ مِنْ الظُّلُمَاتِ ﴾ ، ظلمات الوهم والخرافة ، وظلمات الأوضاع والتقاليد ، وظلمات الحيرة فى تيه الأرباب المتفرقة ، وفى اضطراب التصورات والقيم والموازين ؛ لتخرج البشرية من هذه الظلمات كلها إلى النور ، النور الذى يكشف هذه الظلمات ، يكشفها فى عالم الضمير وفى دنيا التفكير ، ثم يكشفها فى واقع الحياة والقيم والأوضاع والتقاليد ، والإيمان بالله نور يشرق فى القلب ، فيشرق به هذا الكيان البشرى .

يقول صاحب الظلال : « والإيمان بالله نور تشرق به النفس ، فترى الطريق ، ترى الطريق واضحة إلى الله ، لا يشوبها غبش ولا يحجبها ضباب ، غبش الأوهام وضباب الأطماع ، ومتى رأت الطريق سارت على هدى لا تتعثر ولا تضطرب ولا تتردد ولا تختار ، والإيمان بالله نور تشرق به الحياة ، فإذا الناس كلهم عباد متساوون ، تربط بينهم آصرتهم فى الله ، وتتمحض دينوتهم له دون سواه ، فلا ينقسمون إلى عبيد وطغاة ، وتربطهم بالكون كله رابطة المعرفة ... والإيمان بالله نور ، نور العدل ، ونور الحرية ، ونور المعرفة ، ونور الأئس بجوار الله ، والاطمئنان إلى عدله ورحمته فى السراء والضراء ... والإيمان بالله وحده إلهها وربها ، منهج حياة كامل لا مجرد عقيدة تغمر الضمير ، وتسكب فيه النور ، منهج حياة يقوم على قاعدة العبودية لله وحده ، والدينونة لربوبيته وحده ، والتخلص من ربوبيات العبيد والاستعلاء على حاكمية العبيد » .

وليس فى قدرة الرسول إلا البلاغ ، وليس من وظيفته إلا البيان ، أما إخراج الناس من الظلمات إلى النور فإنما يتحقق بإذن الله ، وفق سسته التى اقتضتها مشيئته ، وما الرسول إلا رسول ، فالله هو الهادى لمن قدر له الهداية على يدى رسوله المبعوث عن أمره يهديهم إلى صراط العزيز الذى لا يانع ولا يغالب ، بل هو القاهر لكل ما سواه ، المحمود فى جميع أفعاله وأقواله ، وشرعه وأمره ونهيه ، الصادق فى خبره ، والله عز وجل مالك ما فى السموات وما فى الأرض ، الغنى عن الناس ، المسيطر على الكون وما فيه ومن فيه .

ويمضى السياق إلى تهديد الكافرين بنذرهم بالويل من عذاب شديد ، جزاء كفرهم هذه النعمة ، نعمة إرسال الرسول بالكتاب ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، ثم وصفهم بأنهم يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ، ويقدمونها ويؤثرونها عليها ، ويعملون للدنيا ونسوا الآخرة ، وتركوها وراء ظهورهم ، ويصدون عن سبيل الله واتباع الرسل ، ويحبون أن تكون سبيل الله عوجا مائلة ، وهى مستقيمة فى نفسها ، لا يضرها من خالفها ولا من خذلها ، فهم فى ابتغائهم ذلك فى جهل وضلال بعيد عن الحق ، لا يرجى لهم - والحالة هذه - صلاح .

ولكى يتمكن الرسول من إخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ، لم يكن بد من أن يرسل بلغتهم ، ليبين لهم ويفهموا عنه ، فتم الغاية من الرسالة ، وقد أرسل النبى ﷺ بلسان قومه - وإن كان رسولا إلى الناس كافة - لأن قومه وهم الذين سيحملون رسالته إلى كافة البشر ،

وعمره ﷺ محدود ، وتنتهى مهمة الرسول - كل رسول ، عند البيان ، أما ما يترتب عليه من هدى ومن ضلال فلا قدرة له عليه ، إنها هو من شأن الله ، وهو القادر على تصريف الناس والحياة ، يصرفهم بحكمة وتقدير .

وكذلك كانت رسالة موسى بلسان قومه ، والتعبير يوحد بين صيغة الأمر الصادر لموسى ، والصادر لمحمد عليهما صلاة الله وسلامه - فإذا الأمر هناك ﴿ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ و ، الأمر هنا ﴿ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ الأولى للناس كافة والثانية لقوم موسى خاصة ، ولكن الغاية واحدة ﴿ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيُّمِ اللَّهِ ﴾ .

وكل الأيام أيام الله ، ولكن المقصود هنا أن يذكرهم بالأيام التى يبدو فيها للبشر أو لجماعة منهم أمر بارز أو خارق بالنعمة أو بالنقمة ، كما سيجىء فى حكاية تذكير موسى لقومه ، وقد ذكرهم بأيامهم ، وأيام الأقوام : نوح وعاد وحمود والذين من بعدهم ، فهذه هى الأيام .

قال القاسمى : « أنذرهم بوقائعه التى وقعت على الأمم قبلهم ، كقوم نوح ولوط ، ومنه : أيام العرب ، لحروبها وملاحمها ؛ لأنها تعظم بها الأيام ، وقيل : أيامها نعماءه عليهم ، فتكون الآية بعدها تفصيلا لها ، وقيل : هى أعم من النعماء والبلاء ، والوجه الأول أولى فيها أراه لاختصاص كل آية بمقام » .

وقال ابن كثير : ﴿ بِأَيُّمِ اللَّهِ ﴾ بأياديه ونعمه عليهم فى إخراجه إياهم من أسر فرعون وقهره وظلمه وغشمه ، وإنجائه إياهم من عدوهم ، وفلقه لهم البحر ، وتظليله إياهم بالغمام ، وإنزاله عليهم المن والسلوى ، إلى غير ذلك من النعم » .

وفىما صنعنا بأوليائنا بنى إسرائيل حين أنقذناهم من يد فرعون ، وأنجيناهم مما كانوا فيه من العذاب المهين ، لعبرة لكل صبار فى الضراء ، شكور فى السراء .

وفى هذه الأيام ما هو بؤس فهو آية للصبر ، وفيها ما هو نعمة فهو آية للشكر ، والصبار الشكور هو الذى يدرك هذه الآيات ، ويدرك ما وراءها ، ويمجد فيها عبرة له وعظة ، كما يمجد فيها تسرية وتذكيراً .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - رسالة كل رسول كانت خاصة بقومه ، أما رسالة محمد ﷺ فهى رسالة عامة للعالمين إلى يوم القيامة .

٢ - أثر القرآن الكريم والرسول ﷺ فى إخراج الناس مما كانوا فيه من الضلال إلى الهدى .

٣ - الله سبحانه وتعالى هو الهادى لمن قدر له الهداية على يدى رسوله المبعوث بأمره تعالى .

معاني الكلمات :

يسمونكم : يذيقونكم ويكلفونكم .

يستحيون نساءكم : يستبقون بناتكم للخدمة .

بلاء : ابتلاء واختبار بالنعم والنقم .

تأذن : أعلم إعلاماً لا شبهة معه .

نبأ : خبر .

فردوا أيديهم في أفواههم : عضوا على أصابعهم .

فاطر : خالق ومبدع ومخترع .

بسلطان : بحجة وبرهان .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نعلم كيف دعا موسى قومه وكيف ندعو الناس .
- ٢ - أن نؤمن بوعد الله تعالى بالمزيد من النعم لمن شكر نعم الله عليه .
- ٣ - أن نعرف من قصص الغابرين ففيه هداية لمن أراد أن يستقيم .

المحتوى التربوي :

راح موسى يؤدى رسالته ، ويذكر قومه ، يذكرهم بنعمة الله عليهم ، نعمة النجاة من سوء العذاب الذى كانوا يلقونه من آل فرعون ، يسامونه سوما ، أى يوالون به ويتابعون ، فلا يفتر عنهم ولا ينقطع ، ومن ألوانه البارزة تذبيح الذكور من الأولاد واستحياء الإناث منعاً لتكاثر القوة المانعة فيهم واستبقاء لضعفهم وذلمهم ، فإنجاء الله لهم من هذه الحال نعمة تذكر لشكر .

وفى هذا بلاء بالعذاب أولاً لامتحان الصبر والتهاusk والمقاومة والعزم على الخلاص ، والاستعداد للوقوف فى وجه الظلم والطغيان ، وإلا فما هو صبر مشكور ، ذلك الاستسلام للذل والهوان ، وبلاء بالنجاة ثانياً لامتحان الشكر ، والاعتراف بنعمة الله ، والاستقامة على الهدى فى مقابل النجاة .

ويمضي موسى في البيان لقومه ، بعدما ذكرهم بأيامه ، ووجههم إلى الغاية من العذاب والنجاة ، وهى الصبر للعذاب والشكر للنجاة ، يمضى ليبين لهم ما رتب الله جزاء على الشكر والكفران .

يقول صاحب الظلال : « نقف نحن أمام هذه الحقيقة تطمئن إليها قلوبنا أول وهلة لأنها وعد من الله صادق ، فلا بد أن يتحقق على أية حال ، فإذا أردنا أن نرى مصداقها في الحياة ، ونبحث عن أسبابه المدركة لنا ، فإننا لا نبعد كثيراً في تلمس الأسباب ، إن شكر النعمة دليل على استقامة المقاييس في النفس البشرية ، فالخير يشكر لأن الشكر هو جزاؤه الطبيعي في الفطرة المستقيمة ، هذه واحدة والأخرى أن النفس التى تشكر الله على نعمته ، تراقبه في التصرف بهذه النعمة بلا بطر وبلا استعلاء على الخلق، وبلا استخدام للنعمة في الأذى والشر والذنس والفساد، وهذه وتلك مما يزكى النفس ويدفعها للعمل الصالح ، وللتصرف الصالح في النعمة بما ينميها ويبارك فيها ، ويرضى الناس عنها وعن صاحبها ، فيكونون له عوناً ، ويصلح روابط المجتمع فتتمو فيه الثروات في أمان » .

والكفر بنعمة الله قد يكون بعدم شكرها ، أو بإنكار أن الله واهبها ، والعذاب الشديد قد يتضمن محق النعمة عينا بذهابها ، أو سحق آثارها في الشعور ، وقد يكون عذاباً مؤجلاً إلى أجله في الدنيا أو في الآخرة كما يشاء الله ، ولكنه واقع ؛ لأن الكفر بنعمة الله لا يمضى بلا جزاء ، وذلك الشكر لا تعود على الله عائدته ، وهذا الكفر لا يرجع على الله أثره ، فالله غنى بذاته محمود بذاته ، ونفوس الناس تزكو بالاتجاه إلى الله وتستقيم بشكر الخير ، وتطمئن إلى الاتصال بالمنعم فلا تحشى نفاذ النعمة وذهابها ، ولا تذهب حسرات وراء ما ينفق أو يضيع منها ، فالمنعم موجود ، والنعمة بشكره تزكو وتزيد .

ويستمر موسى في بيانه وتذكيره لقومه ، ولكنه يتوارى عن المشهد لثبرز المعركة الكبرى بين أمة الأنبياء والجاهلييات المكذبة بالرسل والرسالات ، وهذا التذكير من قول موسى ، ولكن السياق منذ الآن يجعل موسى يتوارى ليستمر في عرض قصة الرسل والرسالات في جميع أزمانها ، قصة الرسل والرسالات وحقيقتها في مواجهة الجاهلية ، وعاقبة المكذبين بها على اختلاف الزمان والمكان .

وهنا نشهد الرسل الكرام في موكب الإيذان يواجهون البشرية متجمعة في جاهليتها حيث تتوارى الفواصل بين أجيالها وأقوامها ، والرسل كثير ، وهناك غير من جاء ذكرهم في القرآن ما بين ثمود وقوم موسى ، والسياق هنا لا يعنى بتفصيل أمرهم ، فهناك وحدة في دعوة الرسل ووحدة فيما قوبلت به ، وقد جاؤوا قومهم بالبيانات الواضحات التى لا يلتبس أمرها على الإدراك السليم ، فردوا أيديهم في أفواههم كما يفعل من يريد تمويج الصوت لسمع عن بعد ، بتحريك كفه أمام فمه ، وهو يرفع صوته ذهاباً وإياباً فيتموج الصوت ويسمع ، وإتيانهم بهذه الحركة الغليظة التى لا أدب فيها ولا ذوق ، إمعاناً منهم في الجهر بالكفر .

ولما كان الذى يدعوهم إليه رسلهم هو الاعتقاد بالوهمية الله وحده ، وربوبيته للبشر بلا شريك من عباده ، فإن الشك فى هذه الحقيقة الناطقة التى تدركها الفطرة ، وتدل عليها آيات الله المبثوثة فى ظاهر الكون المتجلية فى صفحاته ، يبدو مستكراً قبيحاً ، وقد استكر الرسل هذا الشك ، والسموات والأرض شاهدان .

وقالت رسلهم : أفى الله شك والسموات والأرض تنطقان للفطرة بأن الله أبدعهما إبداعاً ، وأنشأهما إنشاءً ؟ قالت رسلهم هذا القول ؛ لأن السموات والأرض آيتان هائلتان بارزتان ، فمجرد الإشارة إليهما يكفى ، ولم يزيدوا على الإشارة شيئاً ؛ لأنها وحدها تكفى ، ثم أخذوا يعددون نعم الله على البشر فى دعوتهم إلى الإيمان ، وفى إمامهم إلى أجل يتدبرون فيه ، ويتقون العذاب .

والدعوة أصلاً دعوة إلى الإيمان المؤدى إلى المغفرة ، ولكن السياق يجعل الدعوة مباشرة للمغفرة ؛ لتجلى نعمة الله ومته وعنته يبدو عجيباً أن يدعى قوم إلى المغفرة ، فيكون هذا تلقيهم للدعوة فهو لا يجعلكم بالإيمان فور الدعوة ، ولا يأخذكم بالعذاب فور التكذيب ، إنها يمن عليكم مئة فيؤخركم إلى أجل مسمى ، إما فى هذه الدنيا وإما إلى يوم الحساب ، ترجعون فيه إلى نفوسكم ، وتندبرون آيات الله وبيان رسلهم ؛ وهى رحمة وسبحة تحسبان فى باب النعم، فهل هذا هو جواب دعوة الرحيم المنان ؟!

وهنا يرجع القوم فى جهالتهم إلى ذلك الاعتراض الجهول بأنهم بشر مثلهم ، وبدلاً من أن يعترف البشر باختيار الله لواحد منهم ليحمل رسالته ، فإنهم لجهالتهم ينكرون هذا الاختيار ، ويجعلونه مثار ريبة فى الرسل المختارين ، ويعللون دعوة رسلهم لهم بأنها رغبة فى تحويلهم عما كان يعبد آباؤهم ، ولا يسألون أنفسهم لماذا يرغب الرسل فى تحويلهم ؟! وبطبيعة الجمود العقلى الذى تطبعه الوثنيات فى العقول لا يفكرون فيما كان يعبد آباؤهم : ما قيمته ؟ ما حقيقته ؟ ماذا يساوى فى معرض النقد والتفكير ؟! وبطبيعة الجمود العقلى كذلك لا يفكرون فى الدعوة الجديدة ، إنما يطلبون خارقة ترغمهم على التصديق، وآية تدلهم على فضل الأنبياء عليهم بالنبوة .
ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - إنكار نعم الله ، وعدم شكره عليها كفر بالنعم يشبه الكفر بالله - عز وجل .

٢ - شكر الله - تعالى - على نعمه يزيدنا ويحفظنا .

٣ - اختبار الله - تعالى - لعباده يكون بالحسنات والطيبات والنعم ، كما يكون بالسيئات والمحن والشدائد .

معاني الكلمات :

يَمُنْ : يتفضل .

ملتنا : ديننا .

استفتحوا : طلب الرسل من الله النصر .

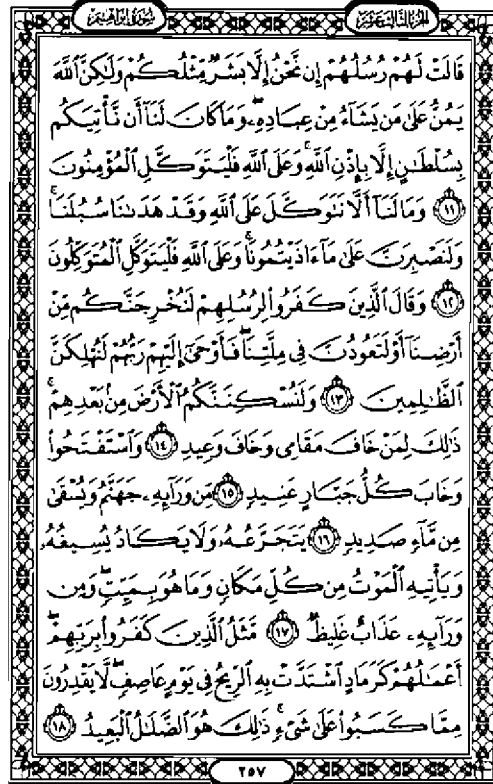
خاب كل جبار : خسر وهلك كل متعاضم متكبر .

عنيد : معاند للحق ، مخالف له .

صديد : ما يسيل من أجساد أهل النار .

يتجرعه : يحاول بلعه بصعوبة .

يسيفه : يتلعه .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نعرف ما كان أهل الكفر يقابلون به رسل الله والدعاة إليه - سبحانه ، وما كانت الرسل ترد به عليهم .

٢ - أن نستشعر وجوب التوكل على الله - تعالى ، وعدم صحة التوكل على غيره .

٣ - أن نعلم خيبة وخسران عامة أهل الشرك والكفر والظلم .

المحتوى التربوي :

يرد الرسل فلا ينكرون بشريتهم بل يقررونها ، ولكنهم يوجهون الأنظار إلى منة الله في اختيار رسل من البشر ، وفي منحهم ما يؤهلهم لحمل الأمانة الكبرى ، وهي منة ضخمة لا على أشخاص الرسل وحدهم ، ولكن كذلك على البشرية التي تشرف بانتخاب أفراد منها لهذه المهمة العظمى - مهمة الاتصال والتلقى من الملائكة الأعلى ، وهي منة على البشرية بتذكير الفطرة التي ران عليها الركام ؛ لتخرج من الظلمات إلى النور ، ولتتحرك فيها أجهزة الاستقبال والتلقى ، فتخرج من الموت الراكد إلى الحياة المنفتحة ثم هي المنة الكبرى على البشرية بإخراج الناس من الدينونة

للعباد إلى الدينونة لله وحده بلا شريك ، واستنقاذ كرامتهم وطاقاتهم من الذل والتبدد في الدينونة للعبيد، الذل الذي يحنى هامة إنسان لعبد مثله ، والتبدد الذى يسخر طاقة إنسان لتأليه عبد مثله .

فأما حكاية الإتيان بسلطان مبین وقوة خارقة ، فالرسل يبينون لقومهم أنها من شأن الله ؛ ليفرقوا في مداركهم بين ذات الله الإلهية ، وذواتهم هم البشرية .

ويطلق الرسل حقيقة دائمة بأنهم ما يعتمدون على قوة غير قوته - تعالى ، فعل الله وحده يتوكل المؤمن ، لا يتلفت قلبه إلى سواء ، ولا يرجو عوناً إلا منه ، ولا يرتكن إلا إلى حماه .

ثم يواجهون الطغيان بالإيمان ، ويواجهون الأذى بالثبات ، ويسألون للتقرير والتوكيد : ما الذى لا يجعلنا لا نتوكل على الله وهو الذى هدانا إلى سواء السبيل ؟ إنها كلمة المطمئن إلى موقفه وطريقه ، المألى يديه من وليه وناصره ، المؤمن بأن الله الذى يهذى السبيل لا بد أن ينصر وأن يعين ، وماذا بهم حتى ولو لم يتم في الحياة الدنيا نصر ؛ إذا كان العبد قد ضمن هداية السبيل ؟

يقول صاحب الظلال : « والقلب الذى يحس أن يد الله - سبحانه - تقود خطاه ، وتهديه السبيل ، هو قلب موصول بالله ، لا يخطئ الشعور بوجوده - سبحانه - وألوهيته القاهرة المسيطرة ، وهو شعور لا مجال معه للتردد في المضي في الطريق ، أياً كانت العقبات في الطريق ، وأياً كانت قوى الطاغوت التى تربص في هذا الطريق ، ومن ثم هذا الربط في رد الرسل صلوات الله وسلامه عليهم - بين شعورهم بهداية الله لهم وبين توكلهم عليه في مواجهة التهديد السافر من الطواغيت ، ثم إصرارهم على المضي في طريقهم في وجه هذا التهديد .

وهذه الحقيقة ؛ حقيقة الارتباط في قلب المؤمن بين شعوره بهداية الله لهم وبين بديهية التوكل عليه - لا يستشعرها إلا القلوب التى تراول الحركة فعلاً في مواجهة طاغوت الجاهلية ، والتى تستشعر في أعماقها يد الله ، وماذا يخاف القلب الموصول بالله على هذا النحو ؟ وماذا يخيفه من أولئك العبيد ؟! » .

ولنصبرن : لا نتزعزع ولا نضعف ولا نتراجع ولا ننهن ، ولا نتزعزع ولا نشك ولا نفرط ولا نحيد ، وهنا يسفر الطغيان عن وجهه ، لا يجادل ولا يناقش ، ولا يفكر ولا يتعقل ؛ لأنه يحس بهزيمته أمام انتصار العقيدة ، وهنا تتجلى حقيقة المعركة وطبيعتها بين الإسلام والجاهلية ، والجاهلية لا ترضى من الإسلام أن يكون له كيان مستقل عنها ، لذلك لا يطلب الذين كفروا من رسلهم مجرد أن يكفوا عن دعوتهم ، ولكن يطلبون منهم أن يعودوا في ملتهم ، وأن يذوبوا في مجتمعهم ، فلا يبقى لهم كيان مستقل ، وتتدخل القوة الكبرى فتضرب ضربتها المدمرة التى لا تقف لها قوة البشر المهازيل - وإن كانوا طغاة متجبرين ؛ ليتمكن المؤمنون في الأرض ، ولتحقق وعد الله لرسله بالنصر والتمكين ولنهلكن الظالمين .

وهذا الإسكان والاستخلاف لمن خاف مقام الله ، فلم يتناول ولم يتعال ولم يستكبر ولم يتجبر ، وخاف وعيده، فحسب حسابه، واتقى أسبابه فلم يفسد في الأرض، ولم يظلم في الناس، ويقف الطغاة المتجبرون بقوتهم الهزيلة الضئيلة في صف ، ويقف الرسل الداعون المتواضعون ومعهم قوة الله - سبحانه - في صف ، ودعا كلاهما بالنصر والفتح ، وكانت العاقبة كما يجب أن تكون من نصر الرسل وإنجاز الوعد لهم ، وخيبة أعدائهم من المتكبرين على طاعة الله وعبادته المعاندين للحق .

يقف الجبار العنيد في هذا المشهد ومن ورائه تحايل جهنم وصورته فيها ، وهو يسقى من الصديد السائل من الجسوم ، يسقاه بعنف فيتجرعه - غصبا وكرها ، لا يكاد يبتلعه لقذارته ومرارته ، ويأتيه الموت بأسبابه المحيطة به من كل مكان ؛ ولكنه لا يموت ليستكمل عذابه ، ومن ورائه عذاب غليظ .

وفي ظل هذا المصير يحىء التعقيب مثلا مصورا في مشهد يضرب الذين كفروا ، ولفته إلى قدرة الله على أن يذهب المكذبين ويأتى بخلق جديد .

ومشهد الرماد تشتد به الريح في يوم عاصف مشهود معهود ، يجسم به السياق معنى ضياع الأعمال سدى ، لا يقدر أصحابها على الإمساك بشيء منها ، ولا الانتفاع به أصلا هذا المشهد العاصف المتحرك ، فيبلغ في تحريك المشاعر له ما لا يبلغه التعبير الذهني المجرد عن ضياع الأعمال وذهابها بدداً .

هذا المشهد ينطوى على حقيقة ذاتية في أعمال الكفار ، فالأعمال التى لا تقوم على قاعدة من الإيمان ولا تمسكها العروة الوثقى التى تصل العمل الباعث ، وتصل بالباعث بالله مفككة كالهباء والرماد ، لا قوام لها ولا نظام ، فليس المعول عليه هو العمل ، ولكن باعث العمل ، فالعمل حركة آلية لا يفترق فيه الإنسان عن الآلة إلا بالباعث والقصد والغاية .

ويتفق التعقيب في ظله مع ظل الرماد المتطاير في يوم عاصف إلى بعيد ، وفي توصيف الضلال بالبعد ، إشارة إلى بعد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الثواب .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - أهمية الصبر والتوكل على الله في جميع الأمور .

٢ - الجبارون المعاندون للحق يخذلهم الله يوم القيامة ويدخلهم جهنم .

٣ - لا ثواب في الآخرة للكافرين على ما عملوا في الدنيا ؛ لأنها على غير أساس الإيمان الذى تقبل به الأعمال .

معاني الكلمات :

يعزیز : بشديد .

برزوا : خرجوا من القبور للحساب .

مغنون عنا : دافعون عنا .

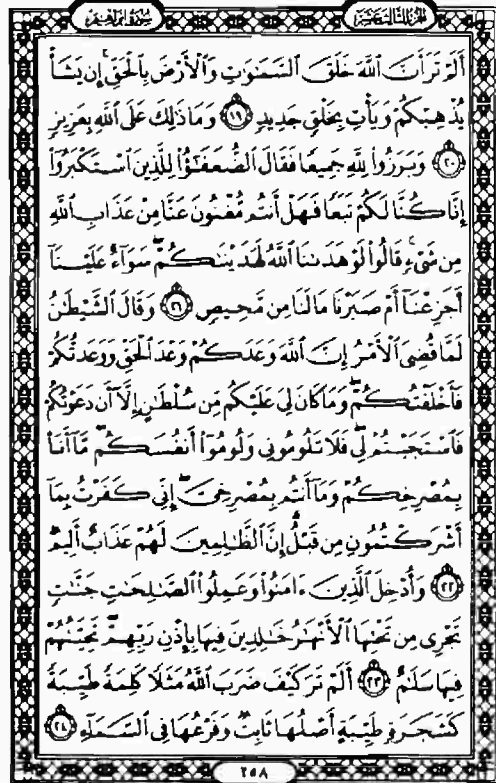
محيص : منجى ومهرب .

سلطان : تسلط أو حجة .

بمصرخكم : بمفنيكم وخلصكم من العذاب .

كلمة طيبة : كلمة التوحيد .

فرعها : غصنها .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نتعرف على بعض مظاهر قدرة الله - تعالى .
- ٢ - أن نعلم أن في يوم القيامة لا يغنى أحد عن أحد ، ويتبرأ الكبراء الضالون ممن تبعهم .
- ٣ - أن نؤمن بحسن ثواب المؤمنين يوم القيامة .

المحتوى التربوي :

يقول - تعالى - نخبراً عن قدرته على معاد الأبدان يوم القيامة ؛ بأنه خلق السموات والأرض التي هي أكبر من خلق الناس ، أفليس الذي قدر على خلق هذه السموات في ارتفاعها واتساعها وعظمتها وما فيها من الكواكب ، وهذه الأرض بما فيها من مهاد ووهاد وأوتاد ، وبرارى وصحارى وقفار وبحار وأشجار ، ونبات وحيوان على اختلاف أصنافها ومنافعها قادراً على إعادة الخلائق مدة أخرى يوم القيامة للحساب ؟

يقول صاحب الظلال : « والانتقال من حديث الإيمان والكفر ، ومن قضية الرسل والجاهلية إلى مشهد السموات والأرض ، هو انتقال طبيعي في المنهج القرآنى ، كما أنه انتقال طبعى في مشاعر الفطرة البشرية يدل على ربانية هذا المنهج القرآنى .

إن بين فطرة الكائن الإنساني وبين هذا الكون لغة سرية مفهومة ، إن فطرته تتلاقى مباشرة مع السر الكامن وراء هذا الكون بمجرد الاتجاه إليه . والذين يرون هذا الكون ثم لا تسمع فطرتهم هذه الإيقاعات وهذه الإيماءات هم أفراد معطلو الفطرة ، في كيانهم خلل تعطلت به أجهزة الاستقبال الفطرية ، كما تصاب الحواس بالتعطل نتيجة لأفة تصيبها ، كما تصاب العين بالعمى ، والأذن بالصمم ، واللسان بالكم ، إنهم أجهزة تالفة لا تصلح للتلقى ، ومن باب أولى لا تصلح للقيادة والزعامة ... إن خلق السموات والأرض بالحق يوحى بالقدرة كما يوحى بالثبات ، فالحق ثابت مستقر » .

وفي ضوء مصير المعاندين الجبارين في معركة الحق والباطل يحىء التهديد باستخلاف جنس غير هذا الجنس في الأرض ، واستخلاف قوم مكان قوم من أقوام هذا الجنس ، وما ذلك على الله بعظيم ولا ممتنع ، بل هو سهل عليه إذا خالفتم أمره .

وانتقل السياق من الدنيا إلى الآخرة ، فالطغاة المكذبون وأتباعهم من الضعفاء المستذلين ومعهم الشيطان ، ثم الذين آمنوا بالرسول وعملوا الصالحات .. وبرزوا جميعا مكشوفين - وهم مكشوفون لله - دائما ، ولكنهم الساعة يعلمون ويحسون أنهم مكشوفون لا يحجبهم حجاب ، ولا يسترهم ساتر ، ولا يقيهم واق .

برزوا وامتلأت الساحة ورفع الستار ، وبدأ الحوار : والضعفاء هم الضعفاء ، هم الذين تنازلوا عن أخص خصائص الإنسان الكريم على الله حين تنازلوا عن حريتهم الشخصية في التفكير والاعتقاد والاتجاه ؛ وجعلوا أنفسهم تبعاً للمستكبرين والطغاة ، ودانوا لغير الله من عبده واختاروها على الدينونة لله ، والضعف ليس عذرا ، بل هو الجريمة ، فما يريد الله لأحد أن يكون ضعيفا وهو يدعو الناس كلهم إلى حماه يعتزون به والعزة لله .

يقول صاحب الظلال : « إن المستضعفين كثرة والطواغيت قلة ، فمن ذا الذى يخضع الكثرة للقلة ؟ وماذا الذى يخضعها ؟ إنما يخضعها ضعف الروح وسقوط الهمة ، وقلة النخوة ، والتنازل الداخلى عن الكرامة التى وهبها الله لبنى الإنسان ، إن الطغاة لا يملكون أن يستذلوا الجماهير إلا برغبة هذه الجماهير ، فهى دائما قادرة على الوقوف لهم لو أرادت ، فالإرادة هى التى تنقص هذه القطعان ، إن الذل لا ينشأ إلا عن قابلية للذل فى نفوس الأذلاء ، وهذه القابلية هى وحدها التى يعتمد عليها الطغاة » .

وهذه القابلية هى وحدها التى يعتمد عليها الطغاة ، والأذلاء هنا على مسرح الآخرة فى ضعفهم وتبعيتهم للذين استكبروا يسألونهم : إن كنا لكم متابعين مهما أمرتمونا ائتمرنا وفعلنا ، فهل تدفعون عنا شيئا من عذاب الله ، كما كنتم تعدوننا وتمنوننا ؟ فقالت القادة لهم : لو كان الله هادنا لهديناكم ولكن حق علينا قول ربنا ، وسبق فينا وفيكم قدر الله ، وحققت كلمة العذاب على

الكافرين ، فليس لهم خلاص مما هم فيه إن هم صبروا عليه أو جزعوا منه ، وهو رد يبدو فيه البرم والضيق فعلا م تلموننا ونحن وإياكم في طريق واحد إلى مصير واحد؟ إننا لم نهتد ونفصلكم ، ولو هدانا الله لقدناكم إلى الهدى معنا ، كما قدناكم حين ضللنا إلى الضلال ، وقد حق علينا العذاب ، ولا راد له من صبر أو جزع ، وفات الأوان الذى كان الجزع فيه من العذاب يجدى فإرد الضالين إلى الهدى ، وكان الصبر فيه على الشدة يجدى فتدركهم رحمة الله ، لقد انتهى كل شىء ، ولم يعد هناك مفر ولا محيص .

وبعد ما قضى الله بين عباده ، يخبر - سبحانه - عما خطب به إبليس أتباعه من الكافرين فقام فيهم إبليس - لعنه الله ، حينئذ خطيبا ليزيدهم حزنا إلى حزنهم وحسرة إلى حسرتهم ، فقال : إن وعد الله كان حقا ، على السنة رسله ، ووعدكم في اتباعهم النجاة والسلامة وكان وعدا حقا وخبرا صدقا ، وأما أنا فوعدتكم وأخلفتكم ، ثم قال : وما كان لى عليكم فيما دعوتكم إليه من دليل ولا حجة على صدق ما وعدتكم ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَأَسْتَجِبْتُمْ لِي﴾ إلا بمجرد ذلك ، هذا وقد أقامت عليكم الرسل الحجج فخالقتموهم فصرتم إلى ما أنتم فيه فلا تلومنى اليوم ، ولوموا أنفسكم فإن الذنب لكم ، وما أنا بنافعكم ومنقذكم مما أنتم فيه ، وما أنتم بنافعى بإنقاذى مما أنا فيه من العذاب بسبب ما أشركتمنى من قبل ، والظالمون لهم بإعراضهم عن الحق واتباعهم الباطل عذاب أليم ، أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلون يوم القيامة جنات تجري من تحتهم الأنهار سارحة فيها حيث ساروا وأين ساروا ماكين أبدا لا يحولون ولا يزولون بإذن ربهم ، والملائكة تحيهم وتكرمهم بالسلام .

وفى ظل تلك القصة ومصائر الأمة الطيبة ، والفرقة الخبيثة ، يضرب الله مثل الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة ، والمؤمن مثله كمثل شجرة لا يزال يوجد منها ثمر فى كل وقت من صيف أو شتاء ، أو ليل أو نهار كذلك المؤمن لا يزال يرفع له عمل صالح آتاء الليل وأطراف النهار فى كل وقت كاملا حسنا ، ويضرب الله الأمثال ، ولكن الناس كثيرا ما ينسون فى زحمة الحياة .
ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - القادر على الإيجاد قادر على الإفناء وقادر على الإحياء بعد الموت .

٢ - فى يوم القيامة يتبرأ الكبراء الضالون ممن تبعهم فى ضلالهم .

٣ - علينا الحذر من وسوسة الشيطان وتزيينه .

معاني الكلمات :

تؤتى أكلها : تعطى ثمرها الذى يؤكل .

كلمة خبيثة : كلمة الكفر والضلال .

اجتشت : اقبلت .

دار البوار : دار الهلاك (جهنم) .

يصلونها : يدخلونها .

أنداداً : أمثالا من الأوثان .

لا خلال : لا صداقة ولا موادة .

دائمين : دائمين فى منافعها لكم .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نعلم أن كلمة الإيمان لها أثرها فى زيادة الأعمال .

٢ - أن نؤمن بأن فى القبر سؤالاً ونعيماً وعذاباً .

٣ - أن نتعرف على بعض الدلائل على وجود الخالق - سبحانه .

المحتوى التربوى :

يمضى السياق فيمثل كفر الكافر بأنه لا أصل له ولا ثبات ، وشبهه بشجرة الحنظل وقد استوصلت فلا أصل لها ولا ثبات ، كذلك كفر الكافر لا أصل له ولا فرع ، ولا يصعد للكافر عمل ولا يتقبل منه شيء .

يقول صاحب الظلال : « إن الكلمة الطيبة - كلمة الحق كالشجرة الطيبة - ثابتة سامقة مثمرة ، ثابتة لا تززعها الأعاصير ، ولا تعصف بها رياح الباطل ولا تقوى عليها معاول الطغيان وإن خيل إلى البعض أنها معرضة للخطر الماحق فى بعض الأحيان - سامقة متعالية ، تطل على الشر والظلم والطغيان من عل - وإن خيل إلى البعض أحياناً أن الشر يزحهما فى الفضاء - مثمرة لا ينقطع ثمرها ؛ لأن بذورها تنبت فى النفوس المتكاثرة أنا بعد أن .

وإن الكلمة الخبيثة - كلمة الباطل - كالشجرة الخبيثة ، قد تهيج وتتعالى وتتشابك ، ويخيل إلى بعض الناس أنها أضخم من الشجرة الطيبة وأقوى ، ولكنها تظل نافثة هشة ، وتظل جذورها في التربة قريبة حتى لكأنها على وجه الأرض ، وما هي إلا فترة ، ثم تحتث من فوق الأرض ، فلا قرار لها ولا بقاء ، ليس هذا وذلك مجرد مثل يضرب ، ولا مجرد عزاء للطيبين وتشجيع ، إنما هو الواقع في الحياة ، ولو أبطأ تحققه في بعض الأحيان ، والخير الأصل لا يموت ولا يذوى مهما زحمة الشر وأخذ عليه الطريق .

ويضرب الله الأمثال للناس ، وهي أمثال مصداقها واقع في الأرض ولكن الناس كثيراً ما ينسونه في زحمة الحياة .

وفي ظل الشجرة الثابتة مثلاً للكلمة الطيبة يتم تثبيت الذين آمنوا في الحياة الدنيا وفي الآخرة بكلمة الإيمان المستقرة في الضمائر، الثابتة في الفطر المثمرة بالعمل الصالح المتجدد الباقي في الحياة، ويشتهم بكلمات القرآن وكلمات الرسول ، وبوعده للحق بالنصر في الدنيا ، والفوز في الآخرة ، وكلها كلمات ثابتة صادقة حققة ، لا تتخلف ولا تتفرق بها السبل ، ولا يمس أصحابها قلق ولا حيرة ولا اضطراب ، ويضل الله الظالمين بظلمهم وشرهم ، والله بإرادته المطلقة يفعل ما يشاء .

يقول القاسمي : « القول الثابت الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمأننت إليه نفسه ، وتثبيتهم به في الدنيا أنهم إذا فتنوا في دينهم لم يزّلوا ، كما ثبت أصحاب الأخدود والذين نشروا بالمناشير ، ومشطت لحومهم بأمشاط الحديد ، وتثبيتهم في الآخرة أنهم إذا سئلوا عند تواقف الأشهاد عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ، ولم تحيرهم أهوال الحشر » .

ويعود السياق إلى المكذبين من قوم محمد ﷺ بعدما عرض عليهم ذلك الشريط الطويل - أولئك الذين أنعم الله عليهم - فيما أنعم - برسول يخرجهم من الظلمات إلى النور ، ويذكرهم بأيام الله لهم ، فإذا هم يكفرون النعمة ويردونها ، ويستبدلون بها الكفر ، يؤثرون على الرسول وعلى دعوة الإيمان ، أولئك هم السادة القادة من كبراء قومك مثلهم مثل السادة من كل قوم ، وبهذا الاستبدال العجيب قادوا قومهم إلى جهنم وأنزلوهم بها ، وبئس القرار فيها من قرار .

لقد استبدلوا بنعمة ودعوته كفرة ، وكانت دعوته إلى التوحيد ، فتركوها ، وجعلوا لله أقرانا مماثلين يعبدونهم كعبادته ، ويدينون لسلطانهم كما يدينون لسلطانه ، ويعترفون لهم بها هو من خصائص ألوهيته - سبحانه ، جعلوا هذه الأنداد ليضلوا الناس عن سبيل الله الواحد الذي لا يتعدد ولا تتفرق به السبل .

يقول صاحب الظلال : « والنص يشير إلى أن كبراء القوم عمدوا عمداً إلى تضليل قومهم عن سبيل الله ، باتخاذ هذه الأنداد من دون الله ، فعقيدة التوحيد خطر على سلطان الطواغيت ومصلحهم في كل زمان - لا في زمن الجاهلية الأولى ، ولكن في زمن كل جاهلية ينحرف الناس فيها عن التوحيد المطلق في أى صورة من صور الانحراف ، فيسلمون قيادهم إلى كبرائهم ، وينزلون لهم عن حرياتهم وشخصياتهم ، ويخضعون لأهوائهم ونزواتهم ، ويتلقون شريعتهم من أهواء هؤلاء الكبراء لا من وحى الله ، عندئذ تصبح الدعوة إلى توحيد الله خطراً على الكبراء يتقونه بكل وسيلة ... فيا أيها الرسول قل للقوم : تمتعوا قليلاً في هذه الحياة إلى الأجل الذي قدره الله » .

والعاقبة معروفة فإن المصير إلى النار ، ودعهم وانصرف عنهم إلى عبادى الذين آمنوا انصرف عنهم إلى موعظة الذين تجدى فيهم الموعظة ، الذين يتقبلون نعمة الله ولا يردونها ، ولا يستبدلون بها الكفر ، انصرف إليهم تعلمهم كيف يشكرون النعمة بالعبادة والطاعة والبر بعباد الله ، وقل لهم : أن يشكروا ربهم بإقامة الصلاة ، فالصلاة أخص مظاهر الشكر لله ، وينفقوا مما أنعمنا عليهم به من الرزق - سراً وعلانية ، سراً حيث تصان كرامة الأخذيين ومروءة المعطين ، فلا يكون الإنفاق تفاخراً وتظاهراً ومباهاة ، وعلانية حيث تعلن الطاعة بالإنفاق وتؤدى الفريضة ، وتكون القدوة الطيبة في المجتمع ، وهذا وذلك متروك لحساسية الضمير المؤمن وتقديره للأحوال ، قل لهم : أن ينفقوا ليربوا رصيدهم المدخر من قبل أن يأتى يوم لا تنمو فيه الأموال بتجارة ، ولا تنفع كذلك فيه صداقة ، إنما ينفع المدخر من الأعمال .

ويعدد - تعالى - نعمه على خلقه بأن خلق لهم السموات سقفا محفوظا والأرض فراشا ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به أزواجا من نبات شتى ، ما بين ثمار وزروع ، مختلفة الألوان والأشكال ، والطعوم والروائح والمنافع ، وسخر الفلك بأن جعلها طافية على تيار ماء البحر ، تجري عليه بأمر الله - تعالى ؛ وسخر البحر لحملها ليقطع المسافرون بها من إقليم إلى إقليم آخر ، وسخر الأنهار رزقا للعباد من شرب وسقى وغير ذلك من أنواع المنافع وسخر الشمس والقمر يدأبان في سيرهما وإنارتها ودرتتهما الظلمات وإصلاحهما ما يصلحان من الأرض والأبدان والنبات ، وسخر الليل والنهار يتعاقبان خلفه لمعاشكم وسباتكم .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

- ١ - كلمة الإيمان والتوحيد ثابتة في قلب المؤمن ينتفع بآثارها في حياته وعند مماته .
- ٢ - كل كلمة خبيثة لا يقبل من صاحبها عمل ، ويعجز عن الإجابة عند سؤال الملكين .
- ٣ - أهمية أداء الصلاة على الوجه الأكمل ، والإنفاق من نعم الله في السر والعلانية .

معاني الكلمات :

لا تحصوها : لا تطبقوا عدها .

اجنبني : أبعدني ونجني .

إنهن : الأصنام .

تهوى إليهم : تسرع إليهم شوقا وودادا .

وهب لي : أعطاني .

تشخص فيه الأبصار : ترتفع دون أن

تطرف من شدة الهول .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نعرف بعض نعم الله علينا .
- ٢ - أن نعلم شيئا من حياة سيدنا إبراهيم عليه السلام .
- ٣ - أن نؤمن بأن الله لا يغفل عن أفعال الظلمة وإنما يمهلهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر .

المحتوى التربوي :

بعدما عرض السياق الخطوط العريضة في صفحة الآلاء المديدة ، وأن في كل خط من النقط ما لا يحصى ، وقد أتى الله عباده من كل ما سألوه من مال وذرية وصحة وزينة ومتاع ، ونعمة الله أكبر وأكثر من أن يحصوها فريق من البشر - أو كل البشر - وكلهم محدودون بين حدين من الزمان بدأ ونهاية وبين حدود من العلم تابعة لحدود الزمان والمكان ، ونعم الله مطلقة - فوق كثرتها - فلا يحيط بها إدراك إنسان ، وبعد ذلك كله تجعلون لله أندادا ، وبعد ذلك كله لا تشكرون نعمة الله بل تبدلونها كفرا .

وحين يستيقظ ضمير الإنسان فيتطلع إلى الكون من حوله ، فإذا هو مسخر له إما مباشرة وإما بموافقة ناموسه لحياة البشر وحوادثهم ويتأمل فيما حوله فإذا هو صديق له برحمة الله معين بقدرة الله ذلول له بتسخير الله حين يستيقظ ضمير الإنسان فيتطلع ويتأمل ويتدبر ، لا بد يرتجف ويخشع ويسجد ويشكر ، ويتطلع - دائماً - إلى ربه المنعم : حين يكون في الشدة ليبدله منها يسراً ، وحين يكون في الرخاء ليحفظ عليه النعماء .

والنموذج الكامل للإنسان الذاكر الشاكر هو أبو الأنبياء إبراهيم ، ويأتي به السياق في مشهد خاشع يظلمه الشكر ، وتشيع فيه الضراعة ، ويتجاوب فيه الدعاء في نعمة رحية متموجة ، ذاهبة في السماء ، والسياق يصور إبراهيم عليه السلام إلى جوار بيت الله الذي بناه في البلد الذي آل إلى قريش ، فإذا بها تكفر فيه بالله ، مرتكنة إلى البيت الذي بناه بانيه لعبادة الله ، فيصوره في هذا المشهد الضارع الخاشع الذاكر الشاكر ؛ ليرد الجاحدين إلى الاعتراف ، ويرد الكافرين إلى الشكر ، ويرد الغافلين إلى الذكر ، ويرد الشاردين من أبنائه إلى سيرة أبيهم لعلمهم يقتدون بها ويهتدون .

ويبدأ إبراهيم دعاءه ، وقد دعا ملكة بالأمن ، ونعمة الأمن ماسة بالإنسان ، عظيمة الوقع في حسه ، متعلقة بحرصه على نفسه ، والسياق يذكرها هنا ليذكر بها سكان ذلك البلد ، الذين يستطيّلون بالنعمة ولا يشكرونها ، وقد استجاب الله دعاء أبيهم إبراهيم فجعل البلد آمناً ولكنهم هم سلكوا غير طريق إبراهيم ، فكفروا النعمة ، وجعلوا لله أنداداً ، وصدوا عن سبيل الله ولقد كانت دعوة أبيهم التالية لدعوة الأمن أن يباেهه الله ويباعد بنيه عن عبادة الأصنام .

ويبدو في دعوة إبراهيم الثانية تسليم إبراهيم المطلق إلى ربه ، والتجاءؤه إليه في أخص مشاعر قلبه ، فهو يستعين بربه بهذا الدعاء ويستهديه ؛ ثم ليرز أن هذه نعمة أخرى من نعم الله ، وإنها النعمة أن يخرج القلب من ظلمات الشرك وجهالاته إلى نور الإيمان بالله وتوحيده ، فيخرج من التيه والخيرة والضلال والشروء إلى المعرفة والطمأنينة والاستقرار والهدوء ، يدعوا إبراهيم دعوته هذه لما شهدته وعلمه من كثرة من ضلوا هذه الأصنام من الناس في جيله وفي الأجيال التي قبله ، ومن فتنوا بها ، ومن افتتنوا وهم خلق كثير .

ثم يتابع الدعاء ، فأما من تبع طريقى فلم يفتتن بها فهو منى ، ينتسب إلى ويلتقى معى في الآصرة الكبرى - آصرة العقيدة ، وأما من عصانى منهم فأفوض أمره إليك ، وفي هذا تبدو سمة إبراهيم العطوف الرحيم الأواه الحليم ، فهو لا يطلب الهلاك لمن يعصيه من نسله ويحيد عن طريقه ، ولا يستعجل لهم العذاب ، بل لا يذكر العذاب ، إنما يكلهم إلى غفران الله ورحمته .

ويمضى إبراهيم في دعائه يذكر إسمكانه لبعض أبنائه بهذا الوادى المجذب المقفر المجاور للبيت المحرم ، ويذكر الوظيفة التى أسكنهم فى هذا القفر الجذب ليقوموا بها لماذا ؟ لإقامة

الصلاة ، فهذا هو الذى من أجله أسكنهم هناك ، وهذا هو الذى من أجله يحتملون الجذب والحرمات ، وأن يجعل وفوداً من الناس تأوى إليهم ، وأن يرزقهم من الثمرات فتجلبها إليهم التجار لينشأ عن ذلك ما يرجوه إبراهيم الشكور من الشكر منهم الله .

ويعقب إبراهيم نعمة الله عليه من قبل ؛ فيلهج لسانه بالحمد والشكر شأن العبد الصالح يذكر فيشكر ، فقد وهب الذرية على حافة العمر ، وهب الذرية على الكبر أوقع في النفس ، فالذرية امتداد ، وما أجل الإنعام به عند شعور الفرد بقرب النهاية ، وحاجته النفسية الفطرية إلى الامتداد ، وإن إبراهيم ليحمد الله ، ويطمع في رحمته ، ويعقب على الشكر بدعاء الله أن يجعله مديناً للشكر ، الشكر بالعبادة والطاعة فيعلن بهذا تصميمه على العبادة وخوفه أن يعوقه عنها عائق ، أو يصرفه عنها صادق ، ويستعين الله على إنفاذ عزمته وقبول دعائه ، ويختتم إبراهيم دعاه الضارع الخاشع بطلب المغفرة له ولوالديه وللمؤمنين جميعاً ، يوم يقوم الحساب ، فلا ينفع إنساناً إلا عمله ، ثم مغفرة الله في تقصيره .

يقول صاحب الظلال : « نلمح تكرار إبراهيم عليه السلام في كل فقرة من فقرات دعائه الخاشع المنيب لكلمة « ربنا » ، أو « رب » فإن لهجان لسانه بذكر ربوبية الله له ولبنيه من بعده ذات مغزى ، وإنه لا يذكر الله - سبحانه - بصفة الألوهية ، إنما يذكره بصفة الربوبية ، فالألوهية قلما كانت موضع جدال في معظم الجاهليات ، إنما الذى كان موضع جدل هو قضية الربوبية ، قضية الدينونة في واقع الحياة الأرضية ، وهى القضية العملية المؤثرة في حياة الإنسان ... » .

ويكمل السياق الشوط ليكشف عما أعد للكافرين بنعمة الله ، ومتى يلقون مصيرهم المحتوم ، والرسول ﷺ لا يحسب الله غافلاً عما يعمل الظالمون ، ولكن ظاهر الأمر يبدو هكذا لبعض من يرون الظالمين يتمتعون ، ويسمع بوعيد الله ، ثم لا يراه واقعا بهم في هذه الحياة الدنيا ، فهذه الصيغة تكشف عن الأجل المضروب لأخذهم الأخذ الأخيرة التى لا إمهال بعدها ، ولا فكاك منها . أخذهم في اليوم العصيب الذى تشخص فيه الأبصار من الفزع والهلع ، فتظل مفتوحة مبهورته مذهولة ، مأخوذة بالهول لا تطرف ولا تتحرك .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

- ١ - نعم الله - تعالى - علينا كثيرة ، وفضله علينا عظيم .
- ٢ - أهمية الدعاء بالخير للنفس وللأهل ولجميع المسلمين ، ومشروعية الإلحاح في الدعاء ، وإظهار التذلل لله تعالى .

٣ - المسلمون نحن قلوبهم شوقاً إلى بيت الله الحرام واستجابة لدعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام .

معاني الكلمات :

- مهطعين : مسرعين إلى الداعي بذلة .
 مقنعي رؤوسهم : رافعي رؤوسهم .
 هواء : خالية لا تعي .
 مقرنين : مقرونا بعضهم مع بعض .
 الأصفاذ : القيود .
 سرايلهم : قمصانهم أو ثيابهم .
 تغشى : تغطي .
 بلاغ للناس : كفاية في العظة والتذكير .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نعلم حال الظالمين يوم القيامة .
- ٢ - أن نعلم حال المشركين مع رسول الله .
- ٣ - أن نؤمن بيوم القيامة وما فيه من مشاهد مفرعة .

المحتوى التربوي :

يرسم السياق مشهداً للقوم في زحمة الهول ، مشهدهم مسرعين لا يلوون على شيء ، ولا يلتفتون إلى شيء ، رافعين رؤوسهم لا عن إرادة ولكنها مشدودة لا يملكون لها حراكاً ، يمتد بصرهم إلى ما يشاهدون من الرعب فلا يطرف ولا يرتد إليهم ، وقلوبهم من الفزع خاوية خالية لا تضم شيئاً يعونه أو يحفظونه أو يتذكرونه ، فهي هواء خواء .

هذا هو اليوم الذي يؤخرهم الله إليه ، والذي ينتظرهم بعد الإمهال هناك ، فأذنر الناس أنه إذا جاء فلا اعتذار يومئذ ولا فكاك ، ويتوجه الذين ظلموا يومئذ إلى الله بالرجاء يقولون : ربنا الآن ، وقد كانوا يكفرون به من قبل ويجعلون له أندادا ، ويطلبون الإمهال إلى أمد الزمان معلوم غير بعيد ، حتى يجيبوا دعوة التوحيد ويتبعوا المرسلين منه - تعالى - فيعملوا بما بلغوه من شرائع .

وهنا ينقلب السياق من الحكاية إلى الخطاب ، كأنهم ماثلون شاخصون يطلبون ، وكأننا في الآخرة وقد انطورت الدنيا وما كان فيها ، فهذا الخطاب يوجه إليهم من الملأ الأعلى بالتبكيث والتأنيب ، والتذكير بما فرط منهم في تلك الحياة فيقول : كيف ترون الآن ؟! زلتم يا ترى أم لم تزولوا ؟! ولقد قلتم قولتكم هذه وآثار الغابرين شاخصة أمامكم مثلاً بارزاً للظالمين ومصيرهم المحتوم ، فهذا عجيب أن تروا مساكن الظالمين أمامكم خالية منهم ، وأنتم فيها خلفاء ، ثم تقسمون مع ذلك ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴾ من دار الدنيا إلى دار أخرى للجزاء ، وعند هذا التبكيث ينتهي المشهد ، وندرك أين صاروا ، وماذا كان بعد الدعاء وخيبة الرجاء .

يقول صاحب الظلال : « وإن هذا المثل ليتجدد في الحياة ويقع كل حين فكم من طغاة يسكنون مساكن الطغاة الذين هلكوا من قبلهم ، وربما يكونون قد هلكوا على أيديهم ، ثم هم يطغون بعد ذلك ويتجبرون ، ويسيروا حذوك النعل بالنعل سيرة الهالكين ، فلا تهز وجدانهم تلك الآثار الباقية التي يسكنونها ، والتي تحدث عن تاريخ الهالكين وتصور مصائرهم للناظرين ، ثم يؤخذون أخذة الغابرين ، ويلحقون بهم وتحلو منهم الديار بعد حين » .

ثم يلتفت السياق إلى واقعهم الحاضر ، وشدة مكرمهم بالرسول والمؤمنين ، وتدبيرهم الشر في كل نواحي الحياة ، فيلقى في الروع أنهم مأخوذون إلى ذلك المصير ، مهما يكن مكرمهم من العنف والتدبير ، والله محيط بهم وبمكرمهم ، وإن كان مكرمهم من القوة والتأخير حتى ليؤدي إلى زوال الجبال ، أثقل شيء وأصلب شيء ، وأبعد شيء عن تصور التحرك والزوال ، فإن مكرمهم هذا ليس مجهولاً وليس خافياً ، وليس بعيداً عن متناول القدرة ، بل إنه لحاضر عند الله يفعل به كيفما يشاء ، وما لهذا المكر من أثر ، وما يعوق تحقيق وعد الله لرسله بالنصر ، وأخذ الماكرين أخذ عزيز مقتدر ، فلا يدع الظالم يفلت ، ولا يدع الماكر ينجو ، والظالم الماكر يستحق الانتقام ، وهو بالقياس إلى الله - تعالى - يعنى تعذيبهم جزاء ظلمهم وجزاء مكرمهم تحقيقاً لعدل الله في الجزاء .

وهذا الجزاء سيكون لا محالة حاصلًا يوم تبدل الأرض وتكون على غير الصفة المألوفة المعروفة ، ولا ندرى نحن كيف يتم هذا ، ولكن النص يلقي ظلال القدرة القادرة التي تبدل الأرض وتبدل السموات ، في مقابل ذلك المكر الذي مهما اشتد فهو ضئيل عاجز حسير ، وفجأة نرى ذلك قد تحقق ، وأنهم مكشوفون لا يستترهم ساتر ، ولا يقيهم واق ، ليسوا في دورهم وليسوا في قبورهم ، إنما هم في العراء أمام الواحد القهار ، ولفظة القهار هنا تشترك في ظل التهديد بالقوة القاهرة التي لا يقف لها كيد الجبابة ، وإن كان مكرمهم لتزول منه الجبال .

ثم ها نحن أولاً أمام مشهد من مشاهد العذاب العنيف القاسى المذل ، يناسب ذلك المكر وذلك الجبروت : فمشهد المجرمين : اثنين اثنين مقرونين في الوثاق ، يمرون صفا وراء صف ،

مشهد مذل دال كذلك على قدرة القهار، ويضاف إلى قرנם في الوثاق أن سرايلهم وثياهم من مادة شديدة القابلية للالتهاب ، وهى فى ذات الوقت قدرة سوداء من قطران ففيها الذل والتحقير ، وفيها الإيحاء بشدة الاشتعال بمجرد قربهم من النار ، فثياهم التى يلبسونها عليهم من قطران ، وهو الذى تطلّى به الإبل ، وهو ألصق شئ بالنار .

ويفعل الله بالمجرمين ما يفعل ليجزى كل نفس مجرمة ما كسبت ، أو كل نفس من مجرمة ومطبعة سيجازيها لأنه إذا عاقب المجرمين لإجرامهم ، فسيثيب المؤمنين على طاعتهم ، والله - عز وجل - يحاسب جميع العباد فى أسرع من لمح البصر ، والسرعة فى الحساب هنا تناسب المكر والتدبير الذى كانوا يحسبونه يحميهم ويخفيهم ، ويعوق انتصار أحد عليهم ، فها هم أولاء يجزون ما كسبوا - ذلاً وألماً وسرعة حساب .

وفى النهاية تختم السورة بمثل ما بدأت ، ولكن فى إعلان عام جهير الصوت على الصدى ؛ لتبليغ البشرية كلها فى كل مكان ، والغاية الأساسية من ذلك البلاغ وهذا الإنذار ، هى يعلم الناس ﴿ أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ فهذه هى قاعدة دين الله التى يقوم عليها منهجه فى الحياة .

يقول صاحب الظلال : « وليس المقصود بطبيعة الحال مجرد العلم ، إنما المقصود هو إقامة حياتهم على قاعدة هذا العلم ، المقصود هو الدينونة لله وحده ، ما دام أنه لا إله غيره ، فالإله هو الذى يستحق أن يكون ربا - أى حاكماً وسيداً ومتصرفاً ومشرعاً وموجهاً - وقيام الحياة البشرية على هذه القاعدة يجعلها تختلف اختلافاً جوهرياً عن كل حياة تقوم على قاعدة ربوبية العباد للعباد ، وهو اختلاف يتناول الاعتقاد والتصور ، ويتناول الشعائر والمناسك ، كما يتناول الأخلاق والسلوك ، والقيم والموازين ، وكما يتناول الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وكل جانب من جوانب الحياة الفردية والجماعية على السواء ، إن الاعتقاد بالآلوهية الواحدة قاعدة لمنهج حياة متكامل ، وليس مجرد عقيدة مستكنة فى الضمائر ، وحدود العقيدة أبعد كثيراً من مجرد الاعتقاد الساكن » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - شدة أهوال يوم القيامة ، وما يكون فيه من فرع للكافرين والعاصين .

٢ - تحقيق وعد الله - تعالى - بنصرة أنبيائه ورسله والمؤمنين .

٣ - القرآن الكريم بلاغ لجميع الخلق من إنس وجن ، وفيه الهداية والدلائل على أنه لا إله إلا

الله .